ليلة القدر



قال الله تعالى : (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَة الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْر * تَنَزَّلُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيَها بِإِذْنِ رَبِّـهِم مِّن كُلِّ أَمْر * سَلاَمٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) صدق الله العلي العظيم .

القدر في اللغة : كون الشيء مساوياً لغيره من غير زيادة ولا نقصان ، وقدّر الله هذا الأمر بقدره قدراً : إذ جعله على مقدار ما تدعو إليه الحكمة .

أنزل الله تعالى القرآن الكريم جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ـ أو إلى البيت المعمور في السماء الدنيا ـ في ليلة القدر (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ) الدخان : 3 ، وهي ليلة القدر .

ثمّ كان جبرائيل (عليه السلام) ينزله على النبي محمّد (صلى الله عليه وآله) نجوماً بأمر الله تعالى ، وكان نزول القرآن الكريم من أوّله إلى آخره في ثلاث وعشرين سنة .

ويجب أن يتبادر إلى الذهن أنّه ليس ابتداء نزول القرآن في ليلة القدر ، ولا إنزال بعض الآيات القرآنية في ليلة القدر ، لأنّه لو كان كذلك ، فهو ينزل أيضاً في بقيّة الأيام والليالي ، فما فضل هذه الليلة على سواها ؟!

ولا نزول سورة القدر في ليلة القدر ، لقوله تعالى : (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ) فضمير أنزلناه يعني القرآن ، وليس سورة منه ولا بعض منه .

إذن ، وجب أن يكون نزول القرآن جملة واحدة في ليلة مباركة ـ من اللوح المحفوظ إلى السماء ـ وهي ليلة القدر ، ومن ثَمّ نزل نجوماً على النبي محمّد (صلى الله عليه وآله) .

معنى ليلة القدر :

سمّيت ليلة القدر ، لأنّها الليلة التي يحكم الله فيها ويقضي ، بما يكون في السنة بأجمعها إلى مثلها من السنة القادمة ، من حياة وموت ، وخير وشر ، وسعادة وشقاء ، ورزق وولادة ، و ... .

ويدلّ على ذلك قوله تعالى : (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) الدخان : 4 ـ 5 .

ففرق الأمر الحكيم يعني إحكام الأمر الواقع بخصوصياته التقديرية ، وإمضاءه في تلك الليلة رحمة من الله إلى عباده .

وقيل القدر : بمعنى المنزلة ، وسمّيت ليلة القدر لأهميتها ومنزلتها ، ولأهميّة ومنزلة المتعبّدين والذاكرين الله فيها ، فإحياؤها بالعبادة ، والعمل الصالح فيها ـ من صلاة وزكاة وأنواع الخير ـ خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر ، ولولا ما يضاعف الله تبارك وتعالى للمؤمنين ما بلغوا ، ولكنّ الله يضاعف لهم الحسنات رحمة منه تعالى .

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) : ((العمل فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر)) .

وسُئل الإمام الباقر (عليه السلام) عن قول الله تعالى : (إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) قال : ((نعم ، ليلة القدر ، وهي في كلّ سنة في شهر رمضان في العشر الأواخر ، فلم ينزل القرآن إلاّ في ليلة القدر ، قال الله تعالى : (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ))) .

تعيين ليلة القدر :

لم يعيّن القرآن الكريم أيّة ليلة هي ، سوى أنّها في شهر رمضان ، وقد اعتمد في تعينها من الأخبار والروايات ، فعن حسّان بن أبي علي ، قال : سألت الإمام الصادق (عليه السلام) عن ليلة القدر ، قال : ((أطلبها في تسع عشرة ، وإحدى وعشرين ، وثلاث وعشرين)) .

وقد اتفقت أخبار أهل البيت (عليهم السلام) أنّها باقية متكرّرة كلّ سنة ، وأنّها من شهر رمضان ، وإنّها إحدى الليالي الثلاث ، ولذلك دأب الشيعة على تسمية الليالي الثلاث بليالي القدر .

وعن زرارة ، قال : سألت الإمام الباقر (عليه السلام) عن ليلة القدر ، قال : ((في ليلتين ، ليلة ثلاث وعشرين وإحدى وعشرين ، فقلت : افرد لي أحدها ؟ فقال : وما عليك أن تعمل في ليلتين هي إحداهما)) .

والمستفاد من مجمل الروايات أنّها ليلة ثلاث وعشرين ـ على الأكثر ـ .

ولم يعيّن وقتها بالذات كي لا يستهان بها بارتكاب المعاصي ، وليجتهد الناس في العبادة ، ويحيوا جميع ليالي شهر رمضان ـ شهر الطاعة ـ طمعاً في إدراكها ، كما أخفى الله تعالى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس ، وساعة الإجابة في ساعات الجمعة ، وغيرها .

صفات ليلة القدر :

ومن صفاتها : أنّها ليلة يطيب ريحها ، وإن كانت في برد دفئت ، وإن كانت في حرّ بردت ، تطلع الشمس في

صبيحتها ليس لها شعاع .

فضل قراءة سورة القدر :

وردت روايات كثيرة في فضل قرائتها ، منها :

1ـ عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال : ((من قرأ إنّا أنزلناه في فريضة من الفرائض، نادى منادٍ يا عبد الله قد غفر لك ما مضى ، فاستأنف العمل)) .

2 ـ عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال : ((من قرأ إنّا أنزلناه فجهر بها صوته ، كان كشاهر سيفه في سبيل الله ، ومن قرأها سرّاً كان كالمتشحّط بدمه في سبيل الله ، ومن قرأها سرّاً مرّات ، محا الله عنه ألف ذنب من ذنوبه)) .

فضل ليلة القدر :

وردت روايات كثيرة في فضلها ، منها :

1ـ ((من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر الله ما تقدّم من ذنبه)) .

2ـ ((إنّ الشيطان يخنس في هذه الليلة ، ولا يخرج حتّى يضيء فجرها)) .

3ـ لا يستطيع فيها على أحد بخبل أو داء أو ضرب من ضروب الفساد ، ولا ينفذ فيها سحر ساحر ، بل تتنزّل فيها النعم والخير والبركة والإحسان للمؤمنين الذاكرين الله ، بشتّى أنواع الذكر حيث يضاعف الله سبحانه لهم الحسنات والخيرات رحمة منه على عباده ، فهي ليلة سلام حتّى مطلع الفجر .

4ـ تتنزّل الملائكة والروح ـ وهو جبرائيل ـ فيها إلى الأرض ليسمعوا الثناء على الله سبحانه ، وقراءة القرآن والدعاء وغيرها من الأذكار ، وليسلّموا على المؤمنين العابدين، الزاهدين، التالين لكتاب الله بإذن الله سبحانه ـ أي بأمره ـ فهي سلام على أولياء الله وأهل طاعته ، فكلّما لقيتهم الملائكة في هذه الليلة سلّموا عليهم .

أعمال ليلة القدر :

هناك أعمال كثيرة مستحبّة لهذه الليلة المباركة ، منها :

الغسل ، وقراءة القرآن ، وذكر الله تعالى ، وقراءة الأدعية المأثورة ـ كدعاء الجوشن الكبير ، ودعاء رفع المصاحف ـ ،

بل مطلق العبادة ، وزيارة الإمام الحسين (عليه السلام) ، والتخضّع والتذلّل لله حتّى يضيء فجرها